

العدد الثامن والعشرون – 25/ سبتمبر (2017)

التطرف والتعصب الديني ؛ أسبابه والعوامل المؤدية اليه

د. إسماعيل صديق عثمان



العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

تقديم

الإسلام كغيره من الأديان السماوية يحظر الاعتداء على النفس البشرية - بل هو أكثرها حرصاً على ذلك - ، دون نظر إلى دينها أو معتقدها أو عرقها، ولا يخفى على أحد أنّ بعض مجتمعاتنا العربية تعاني من انتشار موجات التطرف خصوصاً بعد ما سمي بثورات الربيع العربي. وبالتالي فإن الكشف عن جذوره، ومعرفة أسبابه هو موضوع الساعة. وتتنوع الأسباب المؤدية إلى العنف والإرهاب والتطرف، وقد تتضافر كلها أو أغلبها في الظهور لدى الشخص، وتتعاظم آثارها التي تؤدي إلى زعزعة النظام المجتمعي وما تعانيه بعض البلاد العربية اليوم لأوضح دليل على ذلك، والمعلوم أن الأمان النفسي يُعد من أهم الضرورات الإنسانية لدى البشرية جمعاء. وهو من مقاصد الشريعة التي أمرت بحفظ النفس، ولعل من أقوى الأدلة على عالمية الإسلام هو مكافحته للتطرف وللنزاعات الإقليمية والطائفية فالإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود ولا بين جنس وآخر، بل ينبذ العنصرية والطائفية ويرفض في كل مقاصده مقاييس التفاضل إلا بالتقوى، قال تعالى (: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم).

أهمية الدراسة : يرتبط التطرف الديني بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة، أما إذا ارتبط التطرف الديني بالعنف المادي أو التهديد بالعنف فإنه يتحول إلى إرهاب ، وبالتالي يقع التطرف الديني دائماً في دائرة الفكر أما عندما يخرج عن مساره الديني يتحول الفكر المتطرف إلى أنماط عنيفة من السلوك ومن اعتداءات على الحريات والممتلكات والأرواح، أو تشكيل التنظيمات المسلحة التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة، فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب. فالإرهاب هو أداة أو وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، سواء كانت مواجهة داخلية، بين السلطة السياسية وجماعات معارضة لها، أو مواجهة خارجية بين الدول .

أهداف الدراسة وأهميتها : تسعى الدراسة إلى معالجة موضوع التطرف الديني الإيديولوجي والإرهاب بشكل أكاديمي وعلمي. وتحاول استقصاء أبعاد هذه الظاهرة وتجلياتها في المجتمع الإسلامي والغربي على السواء. كذلك تهدف الدراسة إلى معرفة أسباب التطرف وهل يمكن الإقرار بأن وجود الظاهرة أمر طبيعي؟ أم أنها ظاهرة مرضية؟. وهل يمكن القضاء عليها بصورة مطلقة أم أن ذلك صعب المنال؟ والكل يتفق على إن الحد منها، وتقليص أخطارها وآثارها السلبية على المجتمعات يبقى أمراً مطلوباً . وتأخذ هذه الدراسة أهميتها من النتائج التي يمكن أن تتوصل إليها، فهي بإثارتها لهذا الموضوع تكشف النقاب عن واحدة من المشكلات الكبرى التي تؤرق شأن الإنسانية جميعاً خصوصاً في عصرنا هذا، وتفتح آفاق الاهتمام السياسي والاجتماعي لمعالجتها والتصدي لنتائجها الخطيرة حتى التي تنعكس في مشكلات التطرف والإرهاب المهددة للأمن والسلام العالميين. كما يجب علينا أن نناقش قضية التطرف والغلو بموضوعية علمية لكي لا يستخدم علماء الشريعة سلاحاً ضد هويتهم الإسلامية . والملاحظ أن التطرف الديني أكثر انتشاراً في المجتمعات البشرية لكونه يدغدغ كافة المجالات العقلية والوجدانية والحسية، وستعالج هذه الورقة قضية التطرف تحت محور التطرف : أسبابه ، العوامل المؤدية إلى التطرف تحت المباحث الآتية:

1/المبحث الأول : مفهوم التعصب والتطرف .

2/المبحث الثاني : سيكولوجية التطرف الديني.

3/المبحث الثالث : أنماط التعصب الديني.

4/المبحث الرابع : أهم الأسباب التي تؤدي إلى التطرف.

5/المبحث الخامس : موقف الإسلام من ظاهرة التطرف.

6/المبحث السادس : علاج التعصب والتطرف الديني.

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

المبحث الأول : مفهوم التطرف والتطرف.

أولاً: التطرف.

التطرف لغة: من مصدر تفعل - بتشديد العين - من طرف يطرف طرفاً بالتحريك، وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما والتطرف لغة: مشتق من "الطرف" أي "الناحية"، أو منتهى كل شيء. "وتطرف" أتى الطرف"، أي وجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط. ويرى بعض اللغويين أن لفظة "التطرف" تستدعي للخطر كلمة "الغلو" التي تعني تجاوز الحد. وهو من "غلا" أي "زاد وارتفع وجاوز الحد"، فالتطرف في اللغة هو الوقوف في الطرف بعيداً عن الوسط، ويقصد به اليوم العدول عن طريق الوسطية والاعتدال في شؤون الدين والثقافة والعلاقات الاجتماعية والرؤية السياسية. وهناك من يرى أن مصطلح التطرف يضاد مصطلح "الوسطية" أي "الواقع بين طرفين"، ويقول الأصفهاني: "إنه يحمل في طياته معنى العدل". فالتوجيه القرآني كان دوماً يحث على الاعتدال، فإله سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وهو يعلي من شأن اليسر، وهو ينهى عن البخل والشح لأنهما بمثابة تطرف في التعامل مع المال. وقال رسول الله ﷺ: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولن يشاد أحد إلا غلبه". فأصل في التطرف تكمن في مسألتين هما: في المسائل الحسية، كالتطرف في ممارسة الشعائر العبادية والتعبدية، من أجل هذا كشف النبي ﷺ كل المظاهر الإسلامية للغلاة الأوائل فقال: (يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم). (وفي المعنوية كالتطرف في الدين والفكر، وفي القيم والسلوك. ولهذا فالتطرف يُوصف به طوائف من اليهود ومن النصارى، فثمة أحزاب يمينية متطرفة أو يسارية متطرفة قد وصفت بالتطرف الديني والحركي والسياسي.

التطرف اصطلاحاً: هو مصطلح يُستخدم للدلالة على كل ما يناقض الاعتدال والتوسط، زيادة أو نقصاناً. ونظراً لنسبية حد الاعتدال، وتباينه من مجتمع لآخر وفقاً لقيم وثقافة وعادات كل منها، فقد تعددت مفاهيم التطرف إلى حد جعل من الصعوبة بمكان تحديد أطرها. ومع ذلك حاول البعض التوصل إلى تعريفات لمفهوم التطرف أهمها:

*التطرف هو الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة للواقع المعاش.

*التطرف هو اتخاذ الفرد أو الجماعة، موقفاً متشدداً إزاء فكر أو أيديولوجية في قضية ما، أو محاولة خلق نوع من التعصب الديني في بيئة الفرد أو الجماعة.

وينقسم التطرف إلى ثلاثة أنواع :

تطرف الأفراد

تطرف الجماعات

تطرف الدولة

وهو موجّه تجاه بعض الأفراد والتيارات الاجتماعية، ويستغل قوة الدولة وأجهزتها.

وهناك من قسم التطرف بالنظر إلى عنصر الدين، فجاء التقسيم على النحو التالي:

أ. التطرف العلماني: العلمانية في أصلها هي دعوة إلى فصل الدين عن الدولة ولكنها قد تتحول إلى محاربة الدين، ومحاصرة لجميع أشكال الدين مما يجعل من بعض الدول نماذج للتطرف العلماني، حيث تعدّ الدين من الجرائم السياسية التي يجب محاربتها والقضاء عليها، ومن نماذج: التيارات الاستتصالية في بعض البلدان العربية والإسلامية، فهذه الدول ترفض رفضاً باتاً كل حضور للإسلام في مختلف مجالات الحياة، وتسعى إلى استخدام الدولة في محاصرة مظاهر الدين.

ب. التطرف المسيحي: وهو نوع آخر من التطرف لا يعترف بالآخر، ولا يحق لبشر أن يختلف مع قانون الإيمان المسيحي الذي يتزعمه الكنيسة الكاثوليكية، ويعرف عند الأوروبيين باليمين المسيحي المتشدد، الذي يعلو صوته كثيراً في قضايا الهجرة. وتشكل الإدارة الأمريكية اليوم "المحافظين الجدد"

العدد الثامن والعشرون - 25/ سبتمبر (2017)

نموذجاً آخر للتطرف المسيحي ويرون بأنهم مكلفين بمهمة سماوية خاصة، يجب أن تفرض على شعوب العالم.ج. التطرف اليهودي:وأبرز أمثلته : الحركة الصهيونية التي أسست دولة عنصرية تمارس الاغتيال السياسي وهدم البيوت والمذابح المنظمة ...ونحو ذلك.

د. التطرف الإسلامي :وهو الذي ينتمي أهله إلى أمة المسلمين الذين يظهرون اليوم وكأنهم رسل يتحدثون عن الإسلام والمسلمين دونما علم أو فقه، وتضم كل التيارات الفكرية المتشددة في العالم الإسلامي .وهو الذي يركز عليه اليوم كل وسائل الإعلام الغربية وبعض العربية بمختلف مكوناتها من صوت وكلمة وصورة وكاريكاتير تحاول صياغة صورة ذهنية تمثل الإسلام المتطرف في العقل الغربي. وهذه الصور الذهنية عندما تتكرر وترسخ في أذهان الناس تصبح صوراً نمطية (stereotypes) يغلب عليها الجمود على أوصاف ونعوت ثابتة تنسم في معظم الأحيان بالتبسيط المفرط والتعميم الواسع من جهة، والتشويه والتحامل من جهة أخرى. فالمقصود بالصور النمطية تلك التصورات العقلية الشائعة بين أفراد أو جماعة معينة، وهي تصورات تحدد اتجاه الجماعة نحو المجتمع أو الشعب أو المعتقد أو غير ذلك. ومن هنا تتجلى خطورة التطرف الإسلامي لأنه يوظف من قبل أعداء الإسلام كسلاح ضد الإسلام والمسلمين.ولأن الأصل في ذلك هو التعصب الظلامي للفكرة والعصبة لا للدين، لأن الدين الإسلامي في حقيقته جاء تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَأَسَتْ مِنْهُمْ فِئَتٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} ، وقال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِلُوا آلَئِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، فالقرآن الكريم يأمر بدفع الظلم لا بالتعصب لفئة معينة، فالتعصب مرض نفسي دعا الإسلام إلى تجاوزه، قال ابن حجر: "وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق يقال غلا في الشيء يغلو غلوا و غلا السعر يغلو غلاء إذا جاوز العادة والسهم يغلو غلوا بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمى". وهو عام له صور كثيرة فإذا بالغ الإنسان وتعدى حدود الشرع في الاعتقاد أو العبادة أو السلوك أو الأخلاق و المشاعر أو غير ذلك فقد وقع في مسلك التطرف الديني المفرط. ومن الأمثلة:

*في الاعتقاد :من يغلو في تعظيم الصالحين ويتبرك بهم ويتخذهم أنداداً وشركاء لله يدعوهم ويستغيث بهم وينذر لهم ويفزع إليهم ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله. وكذلك من يغلو في التكفير والتبديع والتفسيق فيتجنى على المسلمين لأدنى شبهة ويستبيح دماهم وأموالهم وأعراضهم بغير حق .يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "المتأولون أصناف عديدة بحسب الباعث لهم على التأويل، وبحسب قصور أفهامهم ووفورها، وأعظمهم توغلاً في التأويل الباطل من فسد قصده وفهمه، فكلما ساء قصده وقصر فهمه، كان تأويله أشد انحرافاً، فمنهم من يكون تأويله لنوع هوى من غير شبهة، بل يكون على بصيرة من الحق، ومنهم من يكون تأويله لنوع شبهة عرضت له أخفت عليه الحق، ومنهم من يجتمع له الأمران: الهوى في القصد والشبهة في العلم."

*في العبادة: من يبالغ في العبادة المشروعة فيحدث فيها عملاً لم يشرعه الله فيجعل الاستنجاء من فرائض الوضوء مثلاً، ويزيد في عدد الركعات والطواف والطهارة من باب الاحتياط، وكذلك من يحدث ويبتدع عبادة لم يأذن بها الله كالأذكار والصلوات التي ليس لها أصل في الشرع .

*في السلوك: من يبالغ في النسك والزهد فيحرم ما أباحه الله من الطيبات والنعم فيترك الزواج أو لبس الحسن من الثياب وغير ذلك، وكذلك من يبالغ في التورع عن جميع المكاسب ويشدد على الناس في ذلك حتى يوقعهم في الحرج، وكذلك من يحرم استخدام الوسائل الحديثة التي ثبت نفعها وفائدتها في الدعوة والمصالح العامة. وكذلك من يغلو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيحمله ذلك على حمل السلاح وقتال المسلمين.

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

* في الأخلاق والمشاعر: من يغلو في حب بعض الأشخاص فينزل منزلة الرسول وربما بالغ فنزله منزلة الرب وخلع عليه أوصاف الرب كما فعلت النصارى مع عيسى بن مريم والرافضة مع علي بن أبي طالب. ومن يغلو في البغض والكره فيحمله ذلك على ظلم الكافر وانتهاك من كانت له حرمة والغدر به وخيانتته، ومن يبالغ في بغض الفاسق المسلم حتى يعامله معاملة الكفار، وكذلك الغلو في إظهار الفرح حتى يحمله ذلك على الإسراف والبذخ وفعل المحرمات. والمبالغة في الحزن عند المصيبة حتى يحمله ذلك على السخط والجزع، والاعتراض على القدر باللطم والعويل وغيرها من مظاهر الجاهلية.

وقد انتشر مفهوم التطرف بين علماء علم الاجتماع في الستينيات والسبعينات من القرن العشرين. ويقول العالم جيروم هيميلستين: "إن في أحسن الأحوال هذا الوصف لا يدل على شيء محسوس عن الأشخاص الموصوفين به، وفي أسوأ الأحوال يرسم صورة خاطئة". فيرون إن تصنيف شخص أو مجموعة عمل كمتطرف في أغلب الأحيان هو تقنية لتحقيق هدف سياسي، خاصة لدى الحكومات حيث يستعمل لتمرير قوانين معينة، أو شن الحروب، فبدلاً من اعتبار أنفسهم متطرفين، فإنهم يميلون للأعمال المتطرفة. وأعاد جون فيزجيرالد كندي صياغة دانتلي بقوله: "الأماكن الأسخن في الجحيم محجوزة لأولئك الذين يظهر حيادهم أثناء الأزمات الأخلاقية"، ويرى باري غولدوير: "أن التطرف في الدفاع عن الحرية ليس بالردية، والاعتدال في مسعى العدالة ليس بالفضيلة"، ومن الأقوال التي تداولت في مؤتمر المجهوري عام 1964م فالتطرف برأي شخص هو مقاتل للحرية برأي شخص آخر.

ثانياً: التعصب

لغة: يأتي بمعنى الشدة يقال لحم عصب: أي شديد الصلب، وأتعصب أشدد، والعصب: الطي الشديد، وعصب رأسه وعصبه تعصياً: شدة. ويضرب مثلاً بالرجل الشديد العزيز الذي لا يقهر ولا يستذل. ومنه قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِئاً بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ}، أي شديد. ويأتي بمعنى: التجمع الإحاطة والنصرة، ومنه قوله عصبه الرجل: أي بنوده وقرابته لأبيه، والعرب تسمى قرابات الرجل أطرافه، ولما أحاطت به هذه القرابات وعصبت بنسبه سموا عصبه وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به. ويقال عصب القوم بفلان أي استكفوا حوله والعصبه والعصابة جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. والتعصب من العصبية والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصره عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين. والعصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم.

اصطلاحاً: لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي فالتعصب هو التشدد وأخذ الأمر بشدة وعنف وعدم قبول المخالف ورفضه من أن يتبع غيره ولو كان على صواب. وكذلك التعصب هو نصره قومه أو جماعته أو من يؤمن بمبادئه سواء كانوا محقين أم مبطلين، وسواء كانوا ظالمين أو مظلومين. كما هو مصطلح لوصف التمييز على أساس الدين إما بدافع تعصب المرء لمعتقداته الدينية أو التعصب بالممارسة ضد الآخر. وتتجلى ذلك عند كافة المستويات الثقافية والفكرية والاعتقادية والاجتماعية، فالتعصب الديني يمكن أيضاً أن يكون إدعاء بتمايز أصحاب دين من الأديان على أصحاب الديانات الأخرى، ويمكن أن يكون غطاء للدوافع السياسية الكامنة. لذلك فإن المعتقدات والممارسات التعبدية قد يتعارض مع أي معتقدات ولكنه لا يشكل في حد ذاته تعصب. وهناك حالات كثيرة عبر عنها التاريخ تحمل اختلاف الممارسات الدينية عند أصحاب الأديان السماوية، خاصة عندما أدرك الإنسان أهمية التكوين المجتمع، أو قيام الجماعات. وعلى هذه الشاكلة فالتعصب هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل إلى جانب. إذن التعصب ظاهرة قديمة حديثة ترتبط بالعديد من المفاهيم كالتمييز العنصري والديني والطائفي والجنسي والطبقي، فإذا نظرنا للحروب والصراعات التاريخية نجد أن كثيراً منها كان سببه هو التعصب للدين أو العرق أو اللون، وما زالت هذه الظاهرة تتجدد باستمرار في عصرنا الحالي، وتشكل آفة لتدمير الشعوب. وقد صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

عام 1981م إعلان خاص بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقدات، وتعني أي تمييز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس الدين أو المعتقد ويكون غرضه أو أثره تعطيل أو إنقاص الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها على أساس من المساواة. وللتعصب عدة تعريفات قدمها علماء النفس إلا أنه قد تم التركيز في البداية على التعصب السلبي باعتباره حالة مرضية تتعارض فيها حيثيات التوافق النفسي والصحة النفسية مع التكيف الاجتماعي، ويقول كيكومب 1965م: "يمثل التعصب استعداداً للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد لأشخاص آخرين لكونهم أعضاء في جماعة معينة"، ويرى ستيفان 1991م أن التعصب: "هو اتجاهات سلبية تجاه أفراد ينتمون إلى جماعة معينة قامت على أساس ديني" إذن التعصب هو حالة نفسية يقع فيه الفرد قسرياً أو إرادياً، ففي الحالة الأولى تسببه الضغوط والظروف النفسية التي يتعرض إليها الإنسان حين يصاب بحالة مرضية يفسد معها المزاج الاجتماعي، أو تسببه الظروف الاجتماعية القاهرة حين يتعرض الشخص للضغط الاجتماعي العام الذي يفرض من خارج الذات، وقد يصاحبه انفعال زائد ثم يتبعه سلوك عدواني يغيب معه المنطق، أو تسببه الظروف السياسية حين تكون ممارسة النشاط السياسي ضاغطة على الحياة العامة، وهنا يعلو صوت المصلحة الحزبية الضيقة على المصلحة الوطنية. وهناك من يرى أن مفهوم التعصب يعني؛ عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل إلى جانب ما، وفي اللاتينية Fanatique يعني المبالغة في الحماسة لدين أو رأي أو فكر معين، وقد استعمل في الغرب مفهوم zelotism بمعنى التزمّت الديني للتنديد بالتعصب الديني الذي ظهر في العصور الوسطى والذي أدى إلى نشوب حروب دينية غيرت من وجهة الإنسان الأوروبي، وقد أطلق اللفظ في القرن الأول الميلادي على محاربين من اليهود إرهابيين ومتعصبين دينياً يهدفون إلى تحرير اليهود من الحكم الروماني، وفي الواقع ليس كل تحمس لدين أو فكر أو مذهب أو طائفة أو جنس أو فريق يسمى تعصب إنما التعصب مظهر للإفراط والمبالغة في التحمس والادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة. فالتعصب ظاهرة نفسية اجتماعية تبدو بأشكال متنوعة ومتعددة، وفي حال استفحالها، تنتج نتائج خطيرة على المستوى الفردي والجماعي، ففي أعماق كل منا يوجد استعداد كامن لهذه الظاهرة تنبئه أو تنميه عوامل متعددة؛ ابستمولوجية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية قد تتداخل معاً، فالابستمولوجيا تلعب دوراً في تشكل هذه الظاهرة عند ما يغيب التفكير العلمي، فيسود المجتمع التفكير الخرافي أو الأسطوري، عندما يعتمد الشخص على مصادر معرفية ضعيفة معتقداً أنها تقوده إلى معرفة مطلقة، وقد رد علماء التحليل النفسي ظاهرة التعصب إلى عوامل لاشعورية تكمن في نفس المتعصبين، وهم أناس نرجسيون عدوانيون لم يحظوا بالأمن أو بالرعاية في طفولتهم، يوجهون عداؤهم نحو شخص أو جماعة يصفونها بأنها العدو، ومعظمهم أصحاب نفوس مريضة ذهانية لا يبالون أو يخشون ارتكاب الآثام وانتهاك المحرمات ويتصفون بموت الأنا الأعلى أي موت الضمير، ويتسم المتعصب حسب رأي فرويد بالنرجسية وادعاء القدرة الكلية وممارسة الإسقاط الذي يريجه من شبهات الضعف والعجز والقصور البشري، ولا يحمل الفكرة العلمية، وينكر حدود إمكانياته، ويفرط بعض المتعصبين بالتدين ويعتبرون أنفسهم أقرب إلى الله تعالى، أو أنهم يملكون قوة إلهية تميزهم عن الآخرين حيث يمتزج لديهم الفكر الروحي بالفكر الديني.

ولقد أرسى الإسلام، من خلال مبادئها الإنسانية السامية، أحكاماً وقواعد للتعامل بين الناس والتعارف بينهم، تقوم على العدل والمساواة في الحقوق والواجبات كما منع التعصب، ونهى عنه، لما له من آثار سيئة مدمرة للإنسان، أشهرها: إثارة الفتن وغرس مشاعر الحقد والكراهية، وسفك الدماء بين الناس، ومنع الآخرين من ممارسة حقوقهما المشروعة، كحق التعبير وإبداء الرأي. وأكد أن أصل الإنسان واحد، وأن الناس متساوون في الحقوق العامة، لقول رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

أحمر إلا بالتقوى . "فالإسلام منع أن يكون معيار التفاضل بين الناس قائماً على أساس العرق أو اللون أو اللغة أو الجنس، ووضح أن هذا الاختلاف إنما هو دليل على قدرة الله تعالى عز وجل، وليس للتفاضل، لقوله تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} . كما أن الإسلام لم يمنع أن يكون الإنسان له روابط وصلات غريزية كرابطة الدم والمصالح الشخصية، إلا أنه يريد أن يجعل ولاء المسلم لعقيدته ودينه أولاً، ولا يجوز تفضيل أي رابطة عليها ، لقوله تعالى {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} ، فولاء المسلم لعقيدته لا يتعارض مع مشاعره الفطرية في الميل إلى الأهل والعشيرة والوطن وخير دليل على ذلك أن الرسول ﷺ حينما نظر إلى مكة مودعاً قال قائلاً : "والله أنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أخرجت منك ما خرجت"، وعندما سئل ﷺ : "أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ قال: لا ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم ." فليس من التعصب المذموم أن ينتصر المسلم للحق ويعمل على رفع الظلم عن إخوانه المسلمين ويعمل على تحقيق الخير والمنفعة لهم. ولعل جماعة الألوية الحمراء الإيطالية الماركسية التي قامت في السبعينيات بحوادث إرهابية متعددة تعد نموذجاً للتطرف اليساري ،في حين أن جماعة الكلوكوكس العنصرية في أمريكا والتي تشكلت أساساً لملاحقة السود تعد مثلاً للتطرف اليميني .فالتطرف الإيديولوجي هو ظاهرة معقدة لأنه ينطوي على العديد من الأبعاد، فهو عبارة عن أنشطة تتمثل في معتقدات واتجاهات ومشاعر وأفعال واستراتيجيات يتبناها شخص أو جماعة بطريقة بعيدة عن الأوضاع السائدة بين الناس.

ويشير (جميل الطهراوي) إلى أن الاتجاهات المتعصبة تحدث عندما يحدث انحراف من عدة معايير منها العقلانية Rationality ، حيث يتم الانحراف عندما يقوم الشخص بإطلاق حكم متعجل، غير مبني على معلومات موثقة أو يأخذ شكل الشائعة والدعاية، أو يأخذ شكل القوالب النمطية الجاهزة، عندما يتعامل الشخص مع الآخرين وفق تلك القوالب، ويتضمن الانحراف عن معيار العقلانية التعميم المفرط، على فئة من الناس، من خلال رفض تعديل الرأي .ومن المعايير أيضاً معيار العدالة Justice ، وهو معيار أخلاقي يقوم على وجوب المساواة في المعاملة بين الأشخاص في مجالات الاهتمامات العامة وفي الحقوق والواجبات، بحيث تخلو المعاملات من التمييز في اللون أو الجنس أو القبيلة، للمحافظة على الكرامة الإنسانية، الذي يجعلنا أكثر إحساساً بحق الآخرين فبالمشاركة في هذه الحياة. فسمّة التصلب (الدجماطيقية) Dogmatism ، هو عبارة عن جملة من الأعراض التي تحوي في طياتها الجمود العقلي وثنائية التفكير القطعي، ويشير (روكيتش): فإن الشخص الدوجماتيقي، إما أن يقبل الشيء قبولاً مطلقاً أو يرفضه رفضاً مطلقاً بغض النظر عن محتوى الشيء أو معقوليته. فسمّة التعصب لفكرة معينة من قبل مجموعة دون قبول النقاش فيها أو الإتيان بأي دليل ينفضها قد يصل بالإنسان إلى التطرف . وفي السبعينيات من القرن العشرين أكد(ويلسون welsown)أن الدوجماطيقية تكمن وراء الاتجاهات المحافظة، والتي يعرفها بأنها : " مقاومة التغيير والاستكانة إلى الأمن بتفضيل ما هو موروث وتقليدي في المواقف والسلوك، وتشمل قياس الأصولية الدينية، والتشدد في العقوبات، وعدم التسامح إزاء الأقليات، وتتبنى التفسيرات الخرافية للظاهرة العلمية ." كذلك من الاتجاهات المتعصبة الاتجاه السلطوي Authoritarian، وهي سمّة تجعل الشخص يمجّد القوة ويستخف بمن هو أضعف منه، ويدافع عن الشخصيات الديكتاتورية المتحكممة، وينظر إليها بنوع من الإعجاب والتمجيد. فالسلطة أو الاستبداد مرض نفسي يجمع بين الرغبة في الهيمنة وتقديس السلطة، ويميل الشخص التسلطي إلى تمجيد أصحاب النفوذ والقوة والطبقية، والاستخفاف بالضعفاء وفرض الرأي بصورة مستبدة وفردية. فهناك شخصيات مهياة بتركيباتها النفسية لممارسة التعصب والتمييز كسلوك ضد الآخرين ليس لأنها تخدم فكرة

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

أو جماعة أو تحركها مشاعر الخوف على الهوية، ولكنها مضطربة في ذاتها تحب أن تمارس التمييز والتعصب ضد الآخرين، مثل الشخصية العدوانية Personal aggressiveness فهي عدوانية ضد الآخرين، والشخصية المضادة Personal countermeasures ، وهي شخصية تخريبية لديها نقمة داخلية على كل ما هو صحيح، وتعمل ضد أهداف المجتمع وتتمنى انتشار الفوضى لأسباب نفسية عقلية ومعرفية، وهي عبارة عن الإطار المعرفي والإدراكات التي يكونها الإنسان عن نفسه ومجتمعه وعن الآخرين كأفراد ومجتمعات وتتحكم هذه الصورة في التعامل مع الآخرين، فإذا كانت هذه الصورة من أساليب التفكير خاطئة هنا يحدث التمييز في المعاملة .

المبحث الثاني: سيكولوجية التطرف الديني

التطرف الديني له أسبابه ودواعيه، من أهمها غياب المرجعية الدينية، وتراجع دورها الإيجابي في إصلاح الراعي والرعية. فالمرجعية الدينية والعلمية تمثلان الأطر البشرية العلمية المؤهلة والمتخصصة في ميادين العلم المختلفة سيما في ميدان علوم الشريعة الإسلامية؛ هذا بالإضافة إلى افتقار بعض الدول العربية والإسلامية إلى التنظيم الإيجابي، وتوحيد المواقف لمواجهة الظواهر السالبة تحت اسم الدين والتدين كثيراً ما يحق باستقرار مؤسسات الدولة وأمن مواطنيها وسلامتها لإظهار الممارسة القويمة لعملية الإصلاح والتغيير وفقاً لمقتضياته القرآنية وقبوضه الماثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعيداً عن مناهج الاعتساف ومسالك الانحراف؛ حيث أنها تمثل منبراً دينياً رسمياً لإرساء رسالة الإسلام الداعية إلى الوسطية والاعتدال، من خلال تأسيس مرجعية دينية يقطع الطريق أمام العابثين بمصائر الأمة، لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ ، فوجود المرجعية الدينية يُساعد على توحيد مواقف العلماء أو تقريب وجهات نظرهم، وتقليل الاختلاف بينهم إزاء مظاهر التطرف الديني الذي ترزأ الأمة تحت رحمته ويحيد بها عن جادة الصواب. فاجتماع العلماء ضمن هيئة رسمية يرسم الطريق الصحيح نحو حل إشكالية توحيد الفتوى، خاصة فيما يتعلق بالنوازل الجسيمة التي تحل بالأمة. عليه فإن وجود المرجعيات الدينية في شقها العلمي تسهم في وأد التطرف الديني في مهده، أو التقليل من تأثيراته السلبية، كذلك يُساعد على تصحيح المفاهيم والأفكار والإيديولوجيات التي تقف من وراء التطرف وتُسوق له، وإزالة ما يُثيره من شبهات على مستوى الفكر والعقيدة والمنهج والسلوك. لذلك أنه من الخطأ الربط بين مظاهر التطرف والأصولية المتشددة بالدين الإسلامي أو بأي دين سماوي آخر؛ لأن استباحة الدماء واستحلال الأعراض والأموال باسم الدين كشريعة أو باسم التدين كممارسة للشريعة ليس من الدين في شيء، فالمشكلة في أساسه تكمن في سوء فهم تعاليم الدين والتطرف في تطبيقها والتشدد في ممارستها، فالأديان السماوية جميعها تبرا من ذلك وتنبذه ولا تدعوا إليه، ولو رجعنا إلى تعاليم الإسلام نجد إن رسول الله عليه وسلم الذي جاء برسالة الإسلام كبشارة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. لذلك فإن تأسيس المرجعية الدينية بصورة مستقلة وبعيدا عن أملاءات السياسيين تقف سداً منيعاً في وجه دعاة التطرف الديني والفاعلين له. كما تقود الأمم إلى بر الأمان وتُثير دروبها ومسالكها من التطرف الوضعي كما يرد في بقية الأديان والذي يصور النظرة إلى الآخرين كما يصورها التلمود.

ففي التعاليم اليهودية نجد الزعم القائل بأنهم "شعب الله المختار". بل جاء في التلمود بأن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده، أما الأرواح غير اليهودية فهي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات. وجاء في التلمود أيضاً "أن الإسرائيليين معتبرون عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي إسرائيلي فكأنه ضرب العزة الإلهية". ويعتقد اليهود بما سطره لهم حاخاماتهم من أن اليهودي جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه. ولذلك ذكر في التلمود "أنه إذا

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

ضرب أميَّ إسرائيليَّ فالأميَّ يستحق الموت. وأنه لو لم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خُلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان، هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب. وقال الحاخام (أباربانيل): "الشعب المختار (أي اليهود) فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير."

1. ويروي التلمود أنه لما قدم بختنصر ابنته إلى زعيم اليهود ليتزوجها، قال له هذا الزعيم: إني يهودي ولست من الحيوانات. ويعتبر اليهود من سواهم أعداء لهم، ولا يجوز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم، ويلزم التلمود بني إسرائيل أن يغشوا من سواهم. فقد جاء فيه: "يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين." ويمنع التلمود اليهود أن يُحيوا غير اليهود ما لم يخشوا ضررهم، ويجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود، ولا يجوز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود. فليس هناك في نظرنا أخطر من هذا التطرف المدعوم من كتاب يقدسه اليهود وينظر اليهود الأرثوذكس على أنه كتاب مقدس منزلاً مثله مثل التوراة، ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، بينما أعطاه التلمود مشافهة. فعلى هذه التعاليم الفاسدة يشب الصغير، ويشيب الكبير، وتتأصل العادات، وتنقل الصفات والأخلاق الدينية جيلاً بعد جيل، وتتشابه بها قلوب اليهود في كل مكان وزمان، لأنها تستقي من مصدر واحد.

المبحث الثالث : أنماط التعصب الديني

* التعصب الإرادي : وهو تعصب تأتي عن طريق التحصن من قبول فكر الآخر ويتم رفضه حتى أن كان هنالك منطق أو حجة عقلية، كالتعصب لفكرة أو لمجموعة أو التشبث برأي أو بوجهة نظر يصاحبها انحياز عاطفي، وهو أيضاً، إما تعصب سياسي أو ديني أو غير ذلك، ولقد أفرد الباحثون لقضية التعصب مباحث عديدة، ولكن هذه المباحث تقع غالباً في الدراسات النفسية والسيكولوجية. وما يجدره ذكره هنا أن الجهات السياسية والاجتماعية تنحو نحو وضع هذه الملفات المثقلة بالتعصب وخاصة التعصب الديني في دائرة الملفات الصعبة التي لا يمكن تناولها لحساسية الموضوع أو لخطورتها وذلك ابتغاء صلب مجتمعاتها بمظاهر حضارية تليق بالعولمة، وأيضاً ابتغاء تجنب النعرات التعصبية ومع ذلك فقد فرض التعصب الديني نفسه بقوة أوصلته إلى الذروة وصار اليوم علانية في كل الدوائر الدولية.

* التعصب الفكري: فالتعصب الديني يتجه في أغلب الأحيان نحو معتقدات نمطية يغلب فيها الفكر المتصلب إلى حد التحجر الذي يصاحبه الانغلاق الذهني الذي يقاوم التغيير بطريقة غير منطقية تأنف منها كل الديانات السماوية، وهذا ما نجده عند البعض ممن يدعون المعرفة بالدين، وقد يسيطر عليهم أشخاص أو جماعات يملكون القدرة على التلاعب بالنفوس الضعيفة، على الرغم ما لديهم من تراكمات روحية لا يستهان بها إلا أن الجهل يعمهم عن إدراك الحقيقة. ومما سبق أن التعصب الديني يلزم في معناه التطرف الديني... فبعض المسلمين ممن تجاوزوا الحد في الاعتدال والوسطية قد اتجهوا إلى الغلو والتطرف ينظرون إلى الأمور بنظرة سلبية وظلامية"، ومما يميز المتطرف الجاهل بالدين هو إعطاء مفهوم خاطئ للنصوص الشرعية، وتحجير كتاب الله عز وجل، ومحاولة إخضاع الظروف الحالية لأسباب نزول في زمن مضي أو قد تم تجاوزه كلياً، ومحاولة أخذ المجتمع الإسلامي من زمنه الحالي وإخضاعه لزمن فجر الإسلام بحجة الأصالة والرجوع إلى السلف الصالح فتتحول المقولة: القرآن صالح لكل زمان ومكان إلى ما معناه أن القرآن لا يصلح إلا بقياسه على زمنه الأول، وهذا إن دل إنما يدل على أن كثيراً ممن يحملون لواء الدين يرغبون في إحياء الدين بطريقة مشوهة، خصوصاً وبعض الجماعات منها تتناول كتاب الله بالتفسير والشرح حسب ما يمليه عليها هدفهم الدنيوي، ونتيجة لتلك

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

العوامل برزت إلى الوجود جمعيات وروابط ذات أنشطة تدور حصراً حول الغيبيات وترفض أن تتناول الموضوعات الدينية التي تتعلق بالتنشئة الاجتماعية لأنها لم تكن من ضمن مطلوباتها وبرامجها. وإلى جانب ذلك توجد جماعات دينية تؤرقها قضايا يدافع عنها المنتمون إليها ويضحون من أجلها، وهؤلاء يواجهون معارضة قوية من الحكومات. وما يميز هذه الفئة أنها لا تؤيد إسلام المذاهب الفقهية الأربعة وتدعو إلى الإحيائية الدينية، وتصحيح المفاهيم الدينية بالاعتماد على التشريعات الدينية الأخرى، مع تغليب المبادرة العلمية التي تعتمد على النقد والتحليل في الأسلوب العلمي للتمييز بين الحق والباطل. فاتجهوا إلى تكفير وتفسيق المخالف لهم ولو اجتهداً أو تأويلاً، ولم يقف الأمر عند أهل الغلو من الخوارج وأتباعهم في كل عصر بالضيق من الاجتهادات والتأويلات المخالفة لهم، بل أضافوا إلى ذلك الضيق الاعتقادات الباطلة في المخالف لهم؛ كاعتقاد فسقه وكفره وخلوده في النار! والأدهى من ذلك استحلال دمه وماله وغير ذلك. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أول البدع ظهوراً في الإسلام وأظهرها ذمّاً في السنة والآثار: بدعة الحرورية المارقة... ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

إحداهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسنة سيئة. والثانية: في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات. ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم.

*التعصب الانعزالي: أوضحت بعض الدراسات السيكولوجية أن العديد من النظريات أثبتت أن معظم المتعصبون الانعزاليون يكتسبون الاتجاهات الإيجابية والسلبية من خلال الممارسات الاجتماعية، وذلك حين يكتسبون اتجاهات أو آراء معينة عن جماعات أو أفراد آخرين، أو من توجيهات من أناس آخرين مؤثرين في حياتهم العامة. لذلك فإن تباعد الناس عن بعضهم وجهل كل طرف بالطرف الآخر يهيئ الفرصة لعدم فهم سلوك الآخرين بصورة إيجابية، مُضيفةً أن عدم التواصل الإيجابي يساهم بشكل كبير في تكوين اتجاهات سلبية نحو الآخرين، لأن من أسباب تعصبهم هو غياب أسلوب الحوار الإيجابي داخل المجتمع الواحد، فتتشأ الشعور بالكراهية المُجرّدة دون التفكير في ما قد ترسمه المجتمع من اتجاهات نحو الآخر، من خلال ما تصبه في القوالب العقلية لهم من إرشادات وإيماءات وتحذيرات حول مواقف معينة أو جماعات أو اتجاهات أو قيم بعينها، إلى جانب الأنانية العقلية والنفسية، هذا بالإضافة للعوامل الثقافية التي تغذي التعصب في كثير من الأحيان. ويرى بعض المفكرين أن غياب التربية الأسرية في الدول العربية تُعَدِّي قيم "التعصب" في نفوس الأبناء، حيث تعمل على غرس جذورها في أجواء الأسرة والمجتمع، وبالتالي فإن الطفل يتفلسف في حياته اليومية، مُضيفةً أن "التعصب" ليس لديه القدرة على رؤية الواقع بصورته الحقيقية؛ لكونه لا يرى إلا ما يميل إليه ويكون ظاهراً أمام ناظره، وبالتالي فلن تكون لديه رؤية صادقة عند إصدار الأحكام على الآخرين، مُوضحين أن المتعصبين الدينيين يعملون على زرع الخلاف بين أفراد المجتمع للقضاء على تناغم النسيج الاجتماعي، وتقليل فرص الاتصال والتواصل، وتغيير الحقائق بوضعها في صورة تُنافي صورتها الحقيقية، إضافةً إلى تزييف المواقف من خلال عدم القدرة على إصدار القرارات السليمة في حق الآخرين، وحرمان المجتمع وأفراده من التقدم والرقي؛ نتيجة انحياز الشخص لأرائه وأفكاره، دون أن يأخذ بآراء وأفكار الآخرين.

المبحث الرابع: أهم الأسباب التي تؤدي إلى التطرف.

يرى بعض الدارسين أن ظاهرة التطرف تنشأ في العادة نتيجة لأربعة عوامل رئيسية: وهي الفقر والجهل والامية ومناهج التعليم ووجود أنظمة حكم متطرفة تمارس العنف. لكن يظل سلاح القهر والاستبداد من أكبر الأسباب التي تولد العنف فقد سارعت بعض الأنظمة الحاكمة إلى ممارسة أشد أنواع

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

القهر والتعذيب في حق الآخرين من دون هوادة عندما رضيت الحكومات العربية المذلة والاستسلام الكامل لرغبات أمريكا وإسرائيل. ومن أهم الأسباب التي تؤدي إلى التعصب:

* ادعاء الحق المطلق: أي أن كل فئة أو متبعي مذهب أو دين يدّعون أنهم يملكون الحق المطلق في مصايرة الناس، ولا يدركون أن الحق واحد لكن له أوجه متعددة، الأمر الذي يؤدي إلى رفض سنة الخلاف والاختلاف، والنزوع إلى الإقصاء بالعنف.

* الانحراف عن معايير العدالة والعقلانية: إن أغلب معتنقي الأديان السماوية يؤمنون بوجود الله عز وجل بشكل مغاير لمفهوم العقل، فالمسيحي واليهودي يؤمن أن هناك تعددية في الآلهة على الرغم من منافاة ذلك لقواعد العقل السليم، أما إذا نظرنا للفرق الإسلامية نجد أن الغالبية العظمى منها لا يؤمنون بقواعد الخلاف والاختلاف كل يظهر أنه على الحق في دينه أو مذهبه فيبقى المتعصب مصراً على رأيه ولا يزن الآراء بميزان العدالة والعقلانية.

* غلبة مفهوم التعصب على مفهوم المواطنة: إن المفهومين قد يظهر في المجتمعات المتخلفة حيث يصبح كل فئة في المجتمع تدافع عن حقوق طائفها أو دينها بغض النظر عن اشتراكهم في الكرامة الإنسانية، فتري ظهور الحكومات ذات التقسيمات الطائفية، فنقسم عدد المقاعد في البرلمان تقسيماً طائفيًا، وكذلك الحقائق الوزارية غير أنه من الأجدر أن يتم التقسيم على أساس الكفاءة العلمية والمعرفية، وكذا الحال في كثير من البلدان العربية والإسلامية.

* الجهل بالدين وأصوله وقواعده ومقاصده: إن النظرة السطحية للدين من أكبر أسباب التعصب والتطرف، فتري المتمسك بالدين بشكل سطحي يبتعد عن روح الدين ومقاصده التي جعلها الله هدفاً لوجود الإنسانية. فتري الجاهل يتمسك بأمور لم يأمر بها الدين ظاناً أنها من الدين. فعلماء المسلمين منذ عصر التنوير إلى اليوم يختارون ما يريدون إبلاغ العامة به فقط ويتركون أجزاء كثيرة من التراث في بطون أمهات الكتب بعيدة عن وجدان عامة المسلمين. وقد تسببت الاختيارية المنحازة في تكوين صور الغلو والمبالغة في احترام الرموز المؤسسة للفكر الإسلامي على حساب الموضوعية الوسطية. فعدم الالتزام الصحيح والكامل بالعقيدة الصحيحة على مستوى المشاعر والأفكار والسلوكيات؛ قد يؤدي إلى الإخلال بالعدالة والمساواة، والتوازن والاعتدال، وبالتالي يحل التطرف والغلو والتعصب محل التسامح والتعايش.

* مقاومة التغيير والاستكانة: إن مقاومة التغيير والاستكانة إلى ما هو موروث وتقليدي في المواقف والسلوك يولد نوعاً من التشدد والغلظة، وعدم التسامح إزاء الأقليات الدينية، لذلك تتبنى التفسيرات الخرافية للظاهرة العلمية.

* عدم الاعتراف الآخر: إن عدم الاعتراف بالآخر من البليات التي ابتلي بها أصحاب الأديان السماوية في القرون الأخيرة، لأن التصورات التأميرية جعلت الأشخاص يميلون نحو العداوة، بدون النظر على أنهم بشر يمكن أن تختلف أفكارهم ونظرتهم من حيث العقائد والعادات والتقاليد. فهناك أشخاص متعصبين لأرائهم أينما وضعتهم بنيتهم الفكرية، فلو كان مسلماً كان مسلماً متعصباً ولو كان مسيحياً كان مسيحياً متعصباً، ولو كان سنياً كان سنياً متعصباً ولو كان شيعياً كان شيعياً متعصباً، وهكذا.

* البساطة المخلة: إن عدم مراعاة التعقيد والتشابك والتداخل الذي توجد عليه القضايا المعروضة يؤدي بالضرورة إلى إلغاء الاختلاف والاجتهاد، بل كثيراً ما تعطل فعالية العقل، لأن الأمر في منطق الغلاة بسيط له أجوبته الحاسمة والجاهزة. هذا بالإضافة إلى عدم التفرقة بين النص الإلهي وأقوال العلماء، فيعتبر أقوال العلماء ديناً غير قابل للخطأ أو المناقشة، فتراه يدافع عن أقوال العلماء مثلما يدافع عن النص الإلهي، وهذا يؤدي إلى التعصب والتطرف.

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

*العوامل النفسية والاجتماعية: تلعب العوامل النفسية والاجتماعية دوراً كبيراً، فإذا حاولنا استقراء أسباب هذه الظاهرة لدى شعوب عالمنا العربي اليوم نجد أن جميع هذه العوامل تكمن وراء ما تحمله نفوس الكثيرين من تعصب مصحوب بغضب وعدوانية.

* العوامل السياسية والاقتصادية: حيث تزايد التعصب الديني في عالمنا العربي، كرد فعل على الأصولية المتمثلة بالنزعة الاستعمارية، وعلى التمر الصهيوني والانحياز الغربي له، وعلى الفساد الاقتصادي الذي رافقه ابتزاز صندوق النقد الدولي، الأمر الذي أدى إلى أشكال جديدة من التعصب ظهر بعد الثورات العربية وما أعقبها من تمزق وفوضى وتدمير لبنى الدول، حيث توفرت البيئة الخصبة لبروزها واستفحالها، فانعكست نتائجها على سلوك عدد غير قليل من أبناء عالمنا العربي والإسلامي، تبدى في رفضهم قبول الآخر والتواصل والتقارب والحوار معه، واعتبارهم المختلف عنهم في الدين أو الفكر أو الطائفة أو المذهب عدواً ينبغي إلغاؤه. وبالمقابل خلق المتعصبون لأنفسهم عالماً منفصلاً عن الواقع، ومن طبيعتهم حب السيطرة والاستيلاء على السلطة، لذلك نجح البعض في الانفلات وتأسيس جماعات لا تكف بإعلان غضبها ومعارضتها للأنظمة الحاكمة بل تعادي كل من لا يتبنى إيديولوجيتها، وتعادي شعوب العالم برمتها، وتمعن في طغيانها فلا تلتزم بأي قيمة إنسانية، وتمضي في مسيرتها تقتل الأبرياء وتدمر المدن وتهلك الحرث والنسل غايتها السيطرة المغلفة بستار الدين.

* غياب النظرة العلاجية لظاهرة التعصب الديني: لقد تم استغلال هذا السبب محلياً ودولياً أبشع استغلال، مما خلق ظهور منظمات إرهابية كالقاعدة وطالبان في أفغانستان، والدولة الإسلامية في بلاد الشام، وحركة بوكو حرام في نيجيريا، أنصار بيت المقدس داعش وجماعة النصرة في سوريا والعراق ومصر وشمال أفريقيا ... وغيرها)، حيث تسعى كل حركة لتوظيف جهودها في نشر أيديولوجيتها الدينية في الإطار السياسي، كما تم توظيف بعض الأفكار اليهودية والمسيحية في مشروع دولة إسرائيل الكبرى، لضرب الحركات الإسلامية في ظل غياب الحكومات العربية والإسلامية، مما ساعد في بروز مصطلحات كالتطرف والإرهاب... وغيرها. فأطلقها الغربيون للنيل من سمعة العرب والمسلمين، فهي حالة مرضية تنمو بارتفاع معدلات الجريمة بل أحياناً يكتفون بوصفهم بالخارجين عن القانون.

وخلاصة القول، أن الأسباب الاجتماعية كثيراً ما تتعلق بالصراع حول القضايا الاقتصادية أو الدينية، وينتج ذلك عن انعكاسات سلبية تظهر في المجتمع، أهمها الانعكاسات على الوطنية وتهديد التماسك الاجتماعي، وتهميش المنتجين وذوي الكفاءات العلمية والعملية والتركيز على الانتماءات مما ينعكس على ضعف التنمية المجتمعية في شتى مجالاتها، وتصاعد المصالح الفئوية وتقديم مصلحة الجماعة الصغيرة أو الفئة على مصلحة الوطن، وغياب سمة التسامح والتعاون في المجتمع وارتفاع حدة الصراعات وغياب آليات التفكير الناقد والتفكير الموضوعي القائم على الأدلة والشواهد، وارتفاع مستوى المعلومات والشائعات المزيفة، فضلاً عن غياب التفكير العلمي المنهجي. كما نرى بأننا يمكن أن نعالج التعصب الديني من خلال الفهم السليم للتعاليم الدينية، وعدم ربط الأفعال العدوانية للمتعبين بالدين، ونشر ثقافة التسامح والتعايش السلمي، وتقبل الحوار بين الثقافات والأديان، والاعتراف بالخطأ وتقبل النقد من الآخرين، ومقاومة تدفق المعلومات المضللة عبر الوسائط الإعلامية المختلفة، والتعاون مع الآخرين والاستفادة مما عندهم من معارف وخبرات، هذا إضافة إلى ضرورة تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة، ونشر ثقافة التفكير الناقد المبني على الموضوعية والأدلة والشواهد المنطقية. فالسؤال الذي يطرح نفسه، هل يمكن منع أو علاج التعصب أو منع هذه الظاهرة؟ هذا الأمر يتطلب أولاً بذل جهود سياسية على المستوى الدولي والعربي والمحلي لإخماد نار الفتن التي مزقت الشعوب العربية والإسلامية، وأثارت نزعة التعصب الذي أعمى أبصار الكثير منهم عن رؤية عدوهم الحقيقي ومعرفة غاياته، أما على المستوى المحلي فالأمر يتطلب تضافر جهود الكثيرين ابتداء من الأسرة ثم المؤسسات التربوية والثقافية والدينية والإعلامية وغيرها من المؤسسات التي تساهم في

العدد الثامن والعشرون - 25/ سبتمبر (2017)

صناعة شخصية المواطن، ونظرا لانتشار هذه الظاهرة في وطننا وخشية عليه من نتائجها الوخيمة، نرى أنه يتعين وضع خطة عمل تقوم على ركائز سياسية واجتماعية واقتصادية تتضمن تحديد إجراءات قابلة للتنفيذ على أرض الواقع بغية تحقيق الهدف الأساسي وهو الحد من هذه الظاهرة ومعالجة المشكلات المؤدية لها، ويتعين أن يشارك في وضع الخطة؛ سياسيون ومتخصصون بعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي وفي الفلسفة وفي علوم التربية والاقتصاد والقانون وكل من يمكنه المساهمة في تحقيق هذا الهدف.

وكذلك من أسباب التطرف الذي يحدث من تطرف بعض المسيحيين أو المسلمين على حد سواء إنما بسبب خطأ في فهم العقيدة الصحيحة، وهذا الخطأ يرجع إلى عدة أسباب تتمثل في:

*محدودية الثقافة الدينية، وعدم القراءة المتعمقة في أصول وجوهر العقيدة.

*تفسير العقيدة وفق المصالح الفردية أو الجماعية.

* غياب دور رجال الدين في التوعية بالعقيدة الصحيحة، والاكتفاء بتلقين النصوص الدينية دون التعمق أو الذهاب إلى شرح ما وراء النصوص من مفاهيم إنسانية.

* النظرة الضيقة للتنشئة الاجتماعية، وغياب الطموحات المستقبلية، وهو ما يدفع بالأشخاص إلى التمسك بالعقائد المتطرفة كملاذ لإنقاذهم لما يعانونه من فقدان الطموحات أو الرؤى الإيجابية للمستقبل.

* الاستغلال السيئ لمفهوم الشورى والديمقراطية والحرية لتنفيذ مآرب التطرف والعصبية أو الإرهاب عبر استغلال الشباب الذي يعاني ضعفاً في الثقافة الدينية.

فهذه الأسباب مجتمعة تؤدي إلى التطرف الديني، فهناك في الأوساط المسيحية من يحاول استمالة الشباب المسيحي إلى محاربة العقائد الأخرى أو محاولة اختراقها، أو يهون من قدرها، وما نراه اليوم من كثرة الحوادث التي تقع داخل المجتمعات المسيحية غير دليل على تناغم الظاهرة حتى في داخل الكنائس، فعلى القائمين على أمر هذه الكنائس أن يسعوا لاحتواء المواقف، وحلها بالطرق الودية وبالتفاهم حرصاً على سمعة الديانة المسيحية، وبموجب تلك الافتراضات نجد أن المتطرفين في الديانة اليهودية أكثر بكثير من أصحاب الملل فهم يتناوون في السنوات الأخيرة بقوة ضاربة مقارنة مع أعداد المتطرفين في الديانات السماوية الأخرى. فكثيراً ما يستغل الدين والمصطلحات الدينية لتبرير الأعمال الظالمة باسم الدين وإضفاء الشرعية عليها، مثل: "المسيحيون والمسلمون الذين يعيشون في المجتمع". الغرض الظاهر منها إضفاء روح المحبة والأخوة والرغبة الصادقة في العمل من أجل رفع مستوى الانسجام والتفاهم في المجتمعات الإنسانية بين أتباع الديانات، أما الهدف المبطن هو الاستغلال والهيمنة والاستلاب .

المبحث الخامس :موقف الإسلام من ظاهرة التطرف

بدأ النبي محمد ﷺ دعوته في المدينة المنورة فأخى بين الأنصار والمهاجرين وسعى إلى بناء علاقات دولية بين دولته وبقية الدول المجاورة بفضل الدبلوماسية الإسلامية التي أكدت على الملأ أن رسالة الدعوة إلى الإسلام هي دعوة عالمية، ففي غزوة أحد عندما انسحب عنه ثلث جيش المدينة أدرك صلى الله عليه وسلم أن الذين انسحبوا هم من المنافقين.. وعلى الرغم من كثرة المنافقين وتعدد جرائمهم ومخازيهم، لم يؤثر عنه ﷺ أنه أراق دم أحد منهم ومازال يستأنس بهم و يتعاهد بهم بالحلم والتعليم والتأديب حتى سلمت له المدينة، فجاء قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}. وبعد أن استقر به المقام أراد ﷺ أن يبني جذور التفاهم والتعاون والانفتاح مع ملوك وأمراء العالم فكانت النجاشي في الحبشة، ورغم أنه لم يصل ولم يصم ولم يهاجر إلى رسول الله، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد قال فيه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. {ويوم موته صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب وداً وتراحماً مع نصارى نجران ومع مقوقس مصر على قبطيته. لذلك فإن عقدة احتواء الناس بالقوة وقضم أفكارهم وآرائهم بالجبر لم تكن سمة من سمات الإسلام في شيء، ولم يستخدمه النبي ﷺ في مناهجه التربوية والتعليمية، وقد عاش ومات وهو مكلل بشرف قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}. {فإذا نظرنا جميعاً رعاة ورعية إلى تربية القرآن والسنة ومنهجهما السماوي لإعداد أجيال الدعاة، فيكشف لنا عما فيهما من محبة وخير وتسامح ونور، وإخاء ورحمة. إن العالم اليوم أكثر حاجة في تقبل رسالة الحق، وعلى الرغم من سقوط الأيديولوجيات الإلحادية في العالم الإسلامي إلا أن الإنسان اليوم لم يشعر بالحرية والأمن والطمأنينة، فأخذ يبحث عن ذاته في ركاب العقائد الفاسدة التي تدعو إلى التطرف والنزوع إلى الفوضى الخلاقة، كما أيقن أن رموز الإلحاد السالفة لازالت متمترسة عند بعض المجموعات، وأن كلمة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يطلعه من ومن لا يعرف ويستخدم في إرهاب الإنسان الذي كرمه الله وفضله عن سائر المخلوقات، فالله تعالى كفيل بزهرق الباطل مادام هنالك أمة يذكرون الله قياماً وقعوداً، قال تعالى: {سُئِرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}. {وعلى الرغم من ربط التطرف بالإسلام لدى الغربيين إلا أن الإسلام قد حذر أكثر من غيره من الأديان السماوية من أخطار هذه الظاهرة وانعكاساتها السلبية على المجتمع، فالقراءة الواعية للنصوص الشرعية الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية، توضح مدى إدراك الإسلام لخطورة ظاهرة التطرف والتعصب الديني بل إن الإسلام أنكر على أتباع بعض الديانات مظاهر التطرف والتشدد في السلوك والعبادة، لقوله رسول الله ﷺ: "إياكم والتعمق في الدين"، فالقول بالنهي دليل على خطورة الظاهرة فالمراد بالتعمق أي في فهم الدين أو التشدد في تطبيقه قال ابن منظور في لسانه: "المتعمق المبالغ في الأمر أو الذي يطلب أقصى غايته" وقد ذكره ابن الأثير في النهاية: "إن المتتبع لموارد استعمال كلمة "التعمق" في الأحاديث والنصوص الإسلامية لا يخالجه أدنى شك أن المراد به ليس التعمق في فهم الدين وبذل الجهد لأجل اكتشاف أبعاده ومقاصده فإن هذا المعنى لا يمكن أن يكون مذموماً في الشريعة الإسلامية كيف وقد حث القرآن عليه ورغب فيه من خلال مدحه للراشخين في العلم، ودعوته للتفقه في الدين والتدبر في آيات القرآن الكريم وإنما المقصود بالتعمق المنهي عنه كالمبالغة والتشدد في الأخذ بتعاليم الإسلام وحدوده وأحكامه وسننه، وبما يخرج المرء عن جادة الاعتدال ويوقعه في الإفراط والتفريط"، وهذا المعنى هو ما يشهد به سياق الحديث السابق فإن الرسول ﷺ علل نهيهِ عن التعمق في الدين فقال: "فإن الله تعالى جعله سهلاً، فخذوا منه ما تطيقون فإن الله يحب مادام من عمل صالح وإن كان يسيراً". {فالتعمق والتشدد في أحكام الإسلام يقود إلى التطرف الديني الذي يعتبر من أخطر الظواهر السالبة اليوم، لأنه يرتبط عادة بالانغلاق والتعصب للرأي ورفض الآخر وكراهيته وازدراؤه، وتسفيه آرائه وأفكاره. والمتطرف فرداً كان أم جماعة ينظر إلى المجتمع نظرة سلبية فلا يؤمن بتعدد الآراء والأفكار ووجهات النظر بل يرفض الحوار التعايش مع الآخرين ولا يبدي استعداداً لتغيير قناعاته وقد يصل به الأمر إلى خيانة الآخرين وتكفيرهم دينياً أو سياسياً وربما إبادة دمهم. ويزداد خطره حين ينتقل العملية من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري إلى طور الممارسة العملية سواء في القيم والسلوك، والذي من خلاله يعبر عن نفسه بأشكال مادية من أعمال قتل وتفجيرات وتصفيات جسدية وغيرها، أو استخدام وسائل تدعو إلى العنف الروحي والمادي. وعادة ما يكون التطرف السلوكي والمادي نتيجة وانعكاسات سابقة سواء في الفكر والقناعات والاعتقاد. وقد استعمل بعض علماء المسلمين مصطلح التطرف كدلالة على الوقوف في طرف الشيء والخروج من الوسط والاعتدال فيه وهو يشمل الذهاب إلى طرف التشديد وإلى طرف التسهيل فالغالي في الدين متطرف والجافي عنه متطرف. وقال

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

الجصاص: "طرف الشيء إما ابتداءه أو نهايته، ويبعد أن يكون ما قرب من الوسط طرفاً". لكن المشهور استعماله في التشدد والتعمق وهو المقصود في خطاب المتكلمين فيكون مرادفاً للغلو ومفهومه في الشرع مجاوزة المسلم الحد الشرعي في كل شيء كما قال الإمام أحمد لأبيه: "لا تغلو في كل شيء حتى الحب والبغض". وقال ابن تيمية: "إياكم والغلو في الدين" للدلالة على جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو هو مجاوزة الحد بأن يزداد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق، فالنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال، وقال ابن حجر: "وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق يقال غلا في الشيء يغلو غلواً وغلا السعر يغلو غلاء إذ جاوز العادة والسهم يغلو غلواً بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمى". فالتشدد في تطبيق الدين والمبالغة في العبادة صفة عرف بها بعض الفرق الإسلامية المتشددة، وكل الجماعات المتطرفة الظاهرية. وقد أرشد النبي ﷺ إلى ذلك في قوله: "يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليست قراءتكم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء". وقد أطلق الإسلام على المتطرفين أوصافاً فمنهم من وصفهم بـ "المتطعين" و "المغالين" لقول رسول الله ﷺ: "هلك المتنعون"، أي المتطرفون المتشددون. فإذا نظرنا لحال الأمة الإسلامية اليوم نجد أن التطرف الديني قد يسجل رقماً قياسياً في كل الأصعدة، وإن تطرفاً يسارياً قد ساد المنطقة العربية والإسلامية وغالباً ما كان أصحاب التوجهات الدينية ويقعون ضحية ذلك التطرف اليساري والقومي خاصة حين وصل اليساريون والقوميون إلى السلطة فتعرضت الجماعات الدينية للقمع ومصادرة الحريات والاعتقال مما دفعهم في بعض الأحيان إلى التصفية والإعدام بحجة باسم الجهاد. فالمسألة إذن ليست حكرًا على تطرف ديني فكلما كان هنالك تكفيراً دينياً كلما استغل الدين سياسياً وعلمانياً. وبالتالي تتهم الجماعات ذات التوجه الإسلامي بأنها متطرفة ترفض الاعتراف بالآخرين، والمحاورة لمن يخالفها في الرأي، فتتجه الحكومات إلى تصنيفهم على أنهم خارجون عن الصف الوطني، وتمارس بحقهم سياسة القمع والاستئصال. وفي هذا يؤكد الجابري: "أن في جميع الأيديولوجيات هناك دوماً موقع ما للتطرف والغلو" ومضيفاً: "سبق لي أن قلت: إنه لو كان الزمان زمان الماركسية لكان كثير من الشباب الذين يستقطبهم اليوم التطرف الديني أو الإثني يعملون في صفوف التطرف الماركسي". لكن اليوم وللأسف بات التطرف الإسلامي تهدد المجتمعات الإنسانية في كل مكان، وتمارس الإرهاب بشكل سافر.

فإذا نظرنا إلى خارطة التطرف الديني نجد أن منذ أوائل السبعينات ظهرت بعض من المنظمات الدينية المتطرفة التي أخذت في الانتشار والازدياد مما جعل منها خطراً يهدد الأنظمة الحاكمة والاستقرار الدولي. وقد اتبعت هذه التنظيمات منهج السرية المطلقة في حركتها وأصبح العنف هو العنصر الأساسي لتحقيق فكرها وتأمين وجودها الأمر الذي أدى إلى زيادة خطورة هذه التنظيمات، ومن الصعوبة تتبع حركتها ومواجهتها والحد من مخططاتها الإرهابية. وعلى الرغم من حداثة مصطلح العنف والتطرف إلا أن التاريخ الإسلامي قد عرف التيارات الدينية المتطرفة فقد اغتيل ثلاثة من الخلفاء الراشدين (عمر وعلى وعثمان) في صدر الدولة الإسلامية، وبتوسع الدولة الإسلامية وإقبال المسلمين على حياة التصوف ظهر نوع آخر من التطرف، كما نشأت طوائف أخرى أخذت ثقافة العنف والقتال وسيلة لتطهير الدولة الإسلامية مما تعمق من فكرة التطرف. فالمتنوع للفرق الإسلامية يلاحظ أنها مشتركة في الفكر والهدف إلا أن اختلاف أسلوب التطبيق قد تعمقت من ظاهرة الإرهاب خاصة في منطقة الشرق الأوسط ومن هنا بدأت موجة الإرهاب الديني والطائفي في الانتشار في بعض الدول العربية والإسلامية أملاً في الصعود إلى مقاليد الحكم.

روى الإمام أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه في سننهما، والحاكم في مستدرکه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين"، وقال ابن تيمية قوله: "المراد بمن قبلنا: أهل الأديان السابقة، وخاصة أهل الكتاب، وعلى الأخص النصارى"

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: "لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم، فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات"، ومن أجل ذلك قاوم النبي صلى الله عليه وسلم كل اتجاه ينزع إلى الغلو في الدين، وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف، مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام، ووازن به بين الروحية والمادية، ووفق بفضلها بين الدين والدنيا، وبين حظ النفس من الحياة وحق الرب في العبادة التي خلق لها الإنسان. فقد شرع الإسلام من العبادات ما يزكي نفس الفرد، ويرقي به روحياً ومادياً، وما ينهض بالجماعة كلها، وقيمها على أساس من الأخوة والتكافل، دون أن يعطل مهمة الإنسان في عمارة الأرض، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، عبادات فردية واجتماعية في نفس الوقت، فهي لا تعزل المسلم عن الحياة ولا عن المجتمع، بل تزيده ارتباطاً به، ومن هنا لم يشرع الإسلام "الرهبانية" التي تفرض على الإنسان العزلة عن الحياة وطبقاتها، والعمل لتنميتها وترقيتها، بل يعتبر الأرض كلها محراباً للمؤمن، والعمل فيها عبادة وجهاداً، إذا صحت فيه النية، والتزمت حدود الله تعالى. ولا يقر ما دعت إليه الديانات والفلسفات الأخرى من إهمال الحياة المادية لأجل الحياة الروحية، ومن حرمان البدن وتعذيبه حتى تصفو الروح وترقى، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي". فواجب المسلمين اليوم أن يمتثلوا لأمر الله سبحانه وتعالى، وأن يحبوا من الطيبات ما أحبه المولى عز وجل، بل شدد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على عدم تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله لعباده وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، فالآيتان الكريمتان تبينان للجماعة المؤمنة حقيقة منهج الإسلام في التمتع بالطيبات، ومقاومة الغلو الذي وجد في بعض الأديان السماوية، جاء عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت للنساء، وإني حرمت على نفسي اللحم فنزلت قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا﴾. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فكانهم تقولها (أي عدوها قليلة)، فقال بعضهم: لا أكل اللحم.. وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: "ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكنني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وأكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني". وسنته عليه الصلاة والسلام تعني منهجه في فهم أصول الدين وتطبيقه، في نفسه وأهله والناس أجمعين، ومن سنته أنه كان معطياً كل ذي حق حقه، فهذا هو التوازن والاعتدال. لذلك إن مكافحة الإرهاب لن تتم بالشجب والاستنكار وعقد المؤتمرات، بل بمكافحة الفكر الذي تم زرع وغرسه في المجتمع، لأن اختراق الأفكار للعقول لا يتم بالتشديد الأمني والتغطية الإعلامية.

أما في مجال الدعوة، فلا مكان للعنف والخشونة، لقول ﷺ: "ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا دخل العنف في شيء إلا شانه". فعلى الداعي أن يبتعد عن العنف والتعصب في دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، حتى يستطيع أن يدخل إلى أعماق الناس، لتجعل منهم أشخاصاً ربانيين في مفاهيمهم ومشاعرهم وسلوكهم، ويبدل كياناتهم وتنشئ منهم خلقاً آخر، فكراً وشعوراً وإرادة، فالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة تهز كيان المدعو هزاً، وتغير عقائده المتوارثة، وتقاليده الراسخة وأخلاقه المتعارفة، وأنظمتها السائدة. وهذا كله لا يمكن أن يتم إلا بحسن التأتي للأمور، والمعرفة بطبيعة وبيئة المدعو، فاللين والرفق يدخلان إلى عقله، ويتسلل إلى قلبهم دون شدة. وهذا ما قصه القرآن الكريم في مسالك الأنبياء والدعاة إلى الله كما نرى في دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، ودعوة شعيب لقومه، ودعوة موسى لفرعون.. الخ. فانظر كيف خاطب مؤمن آل فرعون ومن معه، ليشعرهم بأنهم قومه، وأنه واحد منهم، ويهمهم أمرهم، ويعنيه أن يبقى لهم ملكهم، ويدوم لهم مجدهم. ثم يخوفهم مما

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

أصاب الأمم من قبلهم حين أعرضوا عن دعوة الله تعالى وطاعة رسله، لقوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخُفُّ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ}. { هذا هو الأسلوب الذي ينبغي لأصحاب الدعوة إلى الله تعالى أن يتبعوه في دعوتهم للمعاندین ومخاطبتهم للمخالفين.

المبحث السادس : علاج التعصب والتطرف الديني.

ان أفضل الطرق لمواجهة مشكلة التطرف هي:
*إنهاء حالة التفرد السياسي الذي تمارسه كثير من الحكومات والأنظمة والتوقف عن سياسة القمع وتكميم الأفواه , والتوجه لفتح أبواب الحريات المسؤولة في كافة الجوانب. وإذا كانت بعض الأطراف الخارجية تتحدث عن الإصلاح السياسي كضرورة تخدم مصالحها, فإن مصلحة الأمة وشعوبها, بل وحتى حكوماتها, أن تباشر عملية إصلاح ذاتية حقيقية , وأن تقنع الجميع بأن إمكانية التغيير والإصلاح بالوسائل السلمية متاحة. وان يتم ذلك دون تأخير أو إبطاء.

*معالجة الاختلال الاقتصادية والاجتماعية, وتقليص الفجوة الآخذة بالاتساع بين أغلبية مقهورة ومسحوقة في المجتمعات العربية, وبين أقلية مستنفذة تسيطر على الثروات والمقدرات والدخول. لاسيما أن قناعة تسود لدى أوساط شعبية واسعة بأن الفساد واستغلال المناصب والمواقع للإثراء غير المشروع هي التي تقف وراء ما تتمتع به نخبة مهيمنة محدودة من مكتسبات.

*إعطاء استقلالية حقيقية لمؤسسات التوجيه الديني, والتوقف عن توظيفها كأداة لحشد التأييد لتوجهات السلطة السياسية, كي تكون قادرة على ممارسة دورها بفاعلية في التوعية والتثقيف الديني والتصدي لبعض مظاهر الفهم الخاطي للإسلام.

*التوقف عن وضع جميع الحركات الإسلامية في كفة واحدة ومناصبها جميعها العداء بشكل أعمى، ودون وعي أو تمييز، وإدراك أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه الحركات الواعية في مواجهة الفهم الخاطي.

*الحذر من دعم مظاهر التطرف العلماني في مواجهة التطرف الديني فكل المتطرفين نتائج خطيرة على المجتمعات العربية والإسلامية، وتنامي الواحد يستفز الآخر ويعمل على تفعيله.

*وقف التصريحات المعادية للإسلام والمسلمين في الغرب سواء من قبل بعض وسائل الإعلام، أو بعض النخب السياسية الفكرية والدينية لأن من شأن هذه التصريحات العدائية أن تستفز غضب العرب والمسلمين وتولد مشاعر غضب شديدة.

*قيام مؤتمرات دينية عالمية: تعتبر منظمة "الأديان من أجل السلام" الائتلاف الأكبر في العالم ما بين الأديان السماوية حيث يتمتع بحضور في أكثر من 90 بلدا. فإذا أردنا أن نكافح التعصب والتطرف والإرهاب الديني علينا الأخذ بالاعتبارات التالية:

1.عدم تمويل المجموعات الدينية المتطرفة لان مساندة هذه المجموعات يتيح لها أن تنمو وأن ترتكب المزيد من الأعمال الإرهابية في المستقبل .

2.إضعاف حوافز التطرف الديني العنيف من خلال تعزيز ثقافة التسامح والاحترام المتبادل والعمل على إزالة كافة أشكال القهر والعنف الهيكلية .

3.العمل على تطوير مؤسسات مستقرة قادرة على تقديم خدمات أساسية بغية إضعاف الحوافز الاجتماعية والاقتصادية للتطرف الديني .

4.تعزيز سياسات تطوير المجتمعات المدنية وتقويتها لإضعاف سطوة الحوافز النفسية التي تدفع الناس إلى العمل مع المجموعات المتطرفة .

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

5. دعم نشاط المجموعات الدينية والهيئات المتعددة الأديان بما في ذلك المجموعات النسوية والشبابية في المجتمع المدني لمقاومة التطرف الديني .
هذا إلى جانب:

الاهتمام بالمرجعيات الدينية وإزالة القناع عن إساءة استعمال الدين مبرراً كاذباً وخاطئاً للتطرف الديني، وذلك من خلال تقديم التعاليم الأصيلة والحقيقية للأديان الإلهية التي تؤكد على الكرامة الإنسانية. وتعزيز احترام الكرامة الإنسانية من خلال برامج عملية وملموسة يتم بلورتها من أجل التغلب على انتهاكات حقوق الإنسان والفقر وانعدام الخدمات الأساسية. وتسوية النزاعات والصراعات عن طريق الحوار، وتعميق روح التفاهم بين المجتمعات بغية تعزيز التعايش المشترك ثم صياغة برامج تعليمية وتدريبية على كافة المستويات تنبه عن خطورة التطرف والغلو في الدين. ودعم البرامج الدينية: إن التعاليم الدينية الأساسية حول السلام وحول عالمية الكرامة الإنسانية واحترام الاختلافات الدينية والالتزام الديني بالعمل معا هي مضادات قوية للتطرف الديني. فمن خلال تعاون المجتمعات الدينية والحكومات الوطنية والهيئات الرسمية ومهتمين آخرين من مكونات المجتمع المدني سيكون من الممكن مقاومة التطرف الديني و نشر الثقافة الدينية الوسطية فالناس يحتاجون إلى الدين وإلى ثقافته وعطائه وقد جرت العادة على مواجهة ظاهرة التطرف بأحد أسلوبين: الأسلوب الأمني البوليسي، وهو المفضل لدى غالبية الأجهزة الرسمية والمؤسسات الأمنية العربية والإسلامية. والأسلوب السياسي والفكري عن طريق الاستيعاب أوفتح قنوات الحوار لإقناع من يحمل فكراً متطرفاً بأن أبواب التأثير والإصلاح بالطرق السلمية بعيداً عن العنف وإراقة الدماء متيسرة أمامه وليست مغلقة. ومن الملاحظ أن غالبية الدول التي اقتصرَت على التعامل بالأسلوب الأول لم تنجح بعد سنوات طويلة من المواجهة في الوصول إلى هدفها بإضعاف التوجهات المتطرفة، وكانت النتيجة مؤلمة للطرفين للسلطة وللمجموعات المتطرفة، وغالباً ما دفع المجتمع الثمن غالباً من دماء أبنائه ومن اقتصاده واستقراره نتيجة هذه المواجهة العقيمة.

الخاتمة:

بالطبع لم تعد مشكلة التطرف مشكلة محلية، مقتصرة على بلد واحد، بل أصبحت مشكلة عالمية تشمل جميع أرجاء الوطن الإسلامي ، وعلى الرغم من أن ويلات هذه المشكلة مطروحة على الساحة في كثير من البلاد العالم، إلا أنها تتفاوت في حدتها من دولة لأخرى، فهي في بعض البلدان أكبر وأظهر من البعض الآخر؛ وهذا يعود لقوة العوامل المنتجة لهذه المشكلة؛ فيجب الحكومات والمؤسسات الدينية الرسمية الاهتمام بالتعاليم الدينية، وزيادة العناية بحاجات الأبناء والعمل على تليبيتها، ومعالجة ما يعانون من مشكلات نفسية واجتماعية وغيرها بشكل منهجي مدروس؛ وكذلك القيام بدراسات علمية للأسباب الاجتماعية الدافعة للعنف والعدوان. لمعرفة الأسباب والدوافع التي هؤلاء إلى الاعتراف بهذه الثقافة المتجردة من الكرامة الإنسانية. فالتطرف رد فعل على تطرف آخر، والعنف لا يولد إلا عنفاً مضاداً وسرعان ما يتحول الأمر إلى حلقة لا تحمد عقباه . وهنا يجب أن تتم معالجة الأسباب التي تشكل أرضاً خصبة لانتشار الأفكار المتشددة في العالم العربي والغربي بصورة موضوعية، لأن أي معالجات أمنية ستكون قاصرة عن مواجهة الظاهرة بل قد تكون سبباً إضافياً لتناميها. ومن هنا فقد باتت الحكومات ملزمة بإدراك أهمية إعطاء الفرصة لحركات مجتمعية مدنية تحاصر الفكر المتطرف بشكل مقبول وبتحرك واسع، وكذلك لابد أن يتزامن مع هذا التحرك الواسع إطلاق حملات إعلامية شاملة وحزمة متكاملة ومترابطة من البرامج والأنشطة والفعاليات الثقافية التي تتفاعل مع قضايا المجتمع،

العدد الثامن والعشرون - 25/ سبتمبر (2017)

وتحويل متطلباته من متفرج إلى شريك أساسي يتحمل شطراً من المسؤولية في الدفاع عن كلياته الخمسة (الدين والنفس والعقل والنسل والمال). وأخيراً فإن التطرف الديني لا يمكن علاجه علاجاً حاسماً إلا بأمرين، وهما:

* الحوار الجاد والمجادلة بالتي هي أحسن من خلال النصوص الشرعية والقواعد المعتمدة من قبل الراسخين والمتخصصين الذين يحترمون المحاور ويعترف بجدارتهم .

* الجد والحزم في معالجة أسباب الغلو، بعد إقامة الحجة وكشف مواطن الانحراف بجلاء .

قائمة المراجع

- إبراهيم، منتصر أحمد (1997م). السلفية الجهادية ومهددات الأمن القومي السوداني؛ مطبعة الحوراني؛ القاهرة؛ ط1.
- ابن الأثير (1986م). (الكامل في التاريخ. دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ج2.
- ابن تيمية (1414هـ). الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. تحقيق علي حسن وآخرون. دار العاصمة، الرياض، ط2.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (1391هـ). درء تعارض العقل والنقل. تحقيق محمد رشاد سالم. دار الكنوز الأدبية، الرياض، ط2 ج2.
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي (1314هـ). تهذيب التهذيب. دار العلم، القاهرة، ط2.
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني (1407هـ). فتح الباري في شرح صحيح البخاري. دار البيان للتراث، القاهرة، ط1 .
- ابن حزم، محمد علي (1985م). الفصل بين الملل والأهواء والنحل. دار الجيل، بيروت، ط1.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (1982م). تفسير القرآن العظيم. دار المعرفة، بيروت، ط2.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (1314هـ). البداية والنهاية. دار الكتاب العربي، بيروت، ج5 ط2.
- ابن منظور (1994م). لسان العرب. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط2.
- أبو زهرة، محمد (1989م). محاضرات في النصرانية. دار الأمل، القاهرة، ط1.
- أبي داود، سليمان بن الأشعث (1314هـ). سنن أبي داود. كتاب الذكر والدعاء والتوبة. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج4 ط2.
- إسماعيل، إسماعيل شاهر (بدون تاريخ). الموسوعة الجغرافية - أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر.
- الأصفهاني، راغب (1961م). المفردات في غريب القرآن. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1336هـ). صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء، دار القلم، بيروت، ط2.
- بوش، جورج (بدون تاريخ). محمد صلى الله عليه وسلم، مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس إمبراطورية المسلمين. دار المريح، ط1.
- الجرجاني، علي بن محمد (1998م). التعريفات. تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2.
- الحاج، أحمد محمد (1992م). النصرانية بين التوحيد والتثليث. دار دمشق للنشر، دمشق، ط1.
- حجازي، مصطفى (2006م). الإنسان المهذور، دار الفكر، بيروت، ط2.
- حجازي، أكرم (2008م). مدخل إلى السلفية الجهادية ومشروعها الجهادي
- الخشن، حسين (بدون تاريخ). الإسلام والعنف قراءة في ظاهرة التكفير. دار وهبة، دمشق، ط1.
- الجابري، محمد عابد (بدون تاريخ). التطرف يميناً والتطرف يساراً. دار الأمل، دمشق، ط1 .

العدد الثامن والعشرون - 25 / سبتمبر (2017)

<http://www.aljabriabed.net/gauche3.htm>

ياسين، السيد (بدون تاريخ). تشريح لظاهرة الفكر المتطرف. موقع العربية الالكترونية alarabiya.net دراز، عبدالله (1993م). الموافقات. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

الرازي، أبوبكر محمد (1950م). المصباح المنير. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط3.
الزحيلي، وهبة (2005م). إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، مجلة الوعي الاسلامي، العدد رقم: 481، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، ط1.

الزيات، منتصر (2011م). ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج. من موقع الكاتب نفسه
<http://www.alzayat.com>

السقاف، علي بن عبدالقادر (2010م). الموسوعة العقدية. مكتبة الدرر السنية. باب حماية النبي، ط2.
السيابي، أحمد بن سعود (2005م). المولد النبوي، نظرة تصحيحية في الأحداث والوقائع. مكتبة الغبراء، ط1.

شريعتي، علي (1984م). النباهة والاستحمار. الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

السيد، رضوان (بدون تاريخ). الصراع على الإسلام.

السيوطي (بدون تاريخ). الأشباه والنظائر. دار الفكر، بيروت، ط2.

الشريف، جمال (2012م). السلفية في السودان: انقسام بين التسليم والصدام، ط1.

الطويل، توفيق (1945م). تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى. دار العلم، بيروت، ط2.

العالم، محمد نجيب (1998م). تاريخ السلفية في السودان؛ دار النزهة؛ الجماهيرية العربية الليبية، ط1.

عبداللطيف، خالد (2002). الارهاب الدولي - الكاتب خالد عبداللطيف <http://. alerhab com/page1.html>

الثل، أحمد يوسف (بدون تاريخ). الإرهاب في العالمين العربي والغربي. دار العلم، بغداد، ط1.
عثمان، صالح الزين (2009م). تنامي التيار السلفي الجهادي؛ دار الحوصي للطباعة والنشر؛ أم درمان؛ السودان؛ ط1.

علال، خالد كبير (بدون تاريخ). التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي. دار الأمل، دمشق، ط1.
الإدريسي، أبو زيد المقرئ (بدون تاريخ). الغلو في الدين. الدار العالمية للطباعة والكتب دمشق، ط1.

فهمي، سمبة أحمد (1975م). الأسس النفسية للأتجاه الديني. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1.

القرضاوي، يوسف (2001م). التطرف العلماني في مواجهة الإسلام. دار نشر المركز المغاربي للبحوث والترجمة، ط1، دار البدائل، بيروت، ط1.

النوبختي (بدون تاريخ). الشيعة. دار الأندلس، دمشق، ط1.

مسلم، بن الحجاج (1330هـ). صحيح مسلم. دار الخلافة العلمية، دار السلام، القاهرة، ج2 ط2.

المنأوي، لمحمد عبد الرؤوف (1972م). الفيض، دار الفكر، بيروت، ط2.

المنأوي، محمد عبد الرؤوف (1972م). فيض القدير. دار الفكر العربي، بيروت، ط1.

النسائي، أحمد بن شعيب (1313هـ). سنن النسائي. موسوعة الدرر السنية، القاهرة، ج1 ط3.

النووي، محي الدين أبي زكريا (1996م). صحيح مسلم. دار السلام، القاهرة، ج5 ط2.

وطفة، علي أسعد (بدون تاريخ). التعصب ماهية وانتشارا في الوطن العربي. (نموذج العراق)، المعهد العربي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، الكويت، ط

* Jonathan Riley-smith, (2005). The Crusades, A History, Yale University Press, New Haven and London.

* Karen Armstrong, (2001). Holy War, Anchor Books, New York.

* Tyerman, Christopher, (2006). God's War, A new history of the crusades Penguin Books.

* Riley-smith, 2005. The Crusades, A History, Yale University Press, New Haven and London .